محاضرات مقياس النظرية السوسيولوجية الحديثة1

سنة ثانية علم الاجتماع

المحاضرة الأولى : مدخل تمهيدي إلى النظرية السوسيولوجية:

تحتل النظرية العلمية مكانا متميزا في البحوث العلمية بصفة عامة سواء كان موضوع هذا البحث ظاهرة طبيعية أو إنسانية ، واصطلاح النظرية من المصطلحات الغامضة التي لا يستطيع الباحث استعماله استعمالا دقيقا وصحيحا في كتاباته وبحوثه. فقد يشير الاصطلاح إلى النظام الذي يجمع بين الأفكار ويوحد بينها ويضعها في قالب يعكس المفاهيم التي يطرحها الباحث في سياق أبحاثه ، والتقدم العلمي في ميادين المعرفة، و كثيرا ما يغير من النظريات القائمة في ميدان آخر لان الأفكار الإنسانية مهما تشبعت من ميادين فإنها تشكل كلا متكاملا يعكس تكامل الحياة الاجتماعية وترابطها.

1. **مفهوم النظرية السوسيولوجية**:

إن المتتبع للتعريفات الواردة بشأن تحيد مفهوم "النظرية السوسيولوجية " ، يلاحظ أنه هناك اختلاف ومن جهة أخرى اتفاق حول تحديد مفهومها، حيث ارتبط الاختلاف باستعمال مفاهيم ومصطلحات ، فهي أحيانا "مجموعة قوانين"، "مجموعة مفاهيم"،"مجموعة ملاحظات" و"تصورات"...الخ. أما الاتفاق فهو اتفاق جميع علماء الاجتماع على ضرورة وجود ثلاثة عناصر أساسية لبناء النظرية السوسيولوجية ، وهي المفاهيم ، القضايا والبناء المنطقي.

وعليه يكاد يكون الاتفاق واردا على أن النظرية العلمية السوسيولوجية "هي نسق فكري استنباطي منظم ومنسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة وهذا النسق بدوره يحوي إطارا تصوريا ومفهومات وقضايا نظرية، توضح العلاقات بين الوقائع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى". والنظرية العلمية لا تقتصر على مجرد الانسجام والالتصاق المنطقي بين حججها وبياناتها أنما تتعدى ذلك إلى التحقيق العلمي للنتائج عن طريق اختبار أدلتها وفرضياتها معتمدا في ذلك على التجربة والقياس وغيرها من وسائل البحث العلمي. وبالرجوع إلى مختلف التعريفات التي تناولها علماء الاجتماع في تحديدهم لمفهوم النظرية السوسيولوجية ، نورد ما يلي:

عرف **بارسونز** النظرية السوسيولوجية على أنها " نسق نظري يشكل وحدة لمفاهيم مترابطة ومتساندة منطقيا وبنائيا لها مرجعية امبريقية في الواقع تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية

أما **هومانز** فيرى بأن النظرية الاجتماعية " مجموعة من المفاهيم التي تشكل من خلال العلاقات بينها منظورا مفاهيميا للواقع الاجتماعي ، بعض هذه المفاهيم وصفية تحدد وجود المضمون ، والبعض الآخر تحليلي، وتشير المفاهيم فيه إلى سمات وخصائص المضمون وتتألف النظرية من مجموعة افتراضات يعبر كل منها عن علاقة بين سمتين أو أكثر بحيث تشكل هذه الافتراضات معا نسقا قابلا للاستنباط بحيث تكون المفاهيم والافتراضات قابلة للتحقق من صحتها امبريقيا.

وبالنسبة ل**رالف دارندوف** فالنظرية" مجموعة قوانين منطقية مستخرجة من الواقع الاجتماعي ، يستخلص منها استنتاجات دقيقة لا تعكس خصوصية متميزة تتصف بها مجموعة بشرية صغيرة لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس الذي يبلوره واقعهم الحقيقي.

كما عرف **محمد عاطف غيث** النظرية السوسيولوجية على أنها "مجموعة من مبادئ وتعريفات مترابطة تفيد (تصوريا) في تنظيم جوانب مختارة معينة ، بحيث يمكن أن تستنبط منها منطقيا مجموعة من الفروض القابلة للاختبار.

هي نسقا معرفيا منطقيا ومنظما يتضمن تصورا للواقع الذي يتناوله ، ويتكون من قضايا ومفاهيم وتعريفات وافتراضات ويوضح العلاقات بين الواقع وانتظامها بطريقة دالة، ويبين أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وتبدله والبعد الامبريقي المتضمن مكونات الواقع ومعطياته بهدف تفسير هذا الواقع وفهمه والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلا.

إن النظرية الاجتماعية هي التي من خلالها يحقق علم الاجتماع هدفه في فهم الواقع الاجتماعي وتفسيره، وأنها تبنى على نتائج الدراسة التجريبية للواقع الاجتماعي الشامل لكل ما أنتج الفكر الإنساني من قواعد لتنظيم الحياة ومن ثقافة تعكس صورة ذلك الواقع.إن الحقائق هو وقائع صامتة إلى أن ينطق معناها من خلال النظرية التي تثبتها أو تنفيها، وان النظرية لا قيمة لها ما لم يثبتها التطبيق. ولهذا نقول أن كل فعل أو عمل أو قرار تطبيقي ورأي عملي لا بد أن يكون وراءه نظرية. والذي يجب أن نخلص إليه أن النظرية هي التي تصنع حقائق الحياة الاجتماعية الشاملة وتصنع بشكل واضح جميع القضايا بإطار عام تساعدنا على تحديد السبب والنتيجة والشرح والتنبؤ.

وعلى العموم فالنظرية السوسيولوجية يمكن تعريفها بأنها تراكما مترابطا لمفاهيم وتصورات تأخذ شكلا منسقا ، ومرتبا بقصد تفسير الأحداث الاجتماعية من أجل بلورة قوانين منطقية، لها القدرة على التعبير عن الواقع الاجتماعي والتنبؤ بالمستقبل.

2. <u>شروط النظرية السوسيولوجية:</u>

لكي تكون النظرية علمية وقادرة على تفسير الظواهر والعلاقات والتغيرات التي تتعلق بموضوع ما يجب أن تتوفر على الشروط التالية:

1. يجب أن تكون أفكار ومفاهيم النظرية مترابطة ومتكاملة بحيث تخلو مادتها العلمية من التناقض والتضارب.
2. أن تكون المادة العلمية للنظرية الاجتماعية مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه ولا تعتمد على أفكار فلسفية أو لاهوتية أو ذاتية لأن مثل هذه الأفكار لا تخضع لأساليب التحليل والتجريب والفحص الموضوعي.
3. أن تكون قادرة على تفسير جميع الظواهر التي تهتم بدراستها وتحليلها وينبغي أن يكون التفسير عقلانيا ومستمدا من طبيعة الظاهرة وليس من تصورات وتخيلات.
4. أن تكون صحة النظرية نسبية وليست مطلقة قابلة للتغيير والتعديل.
5. أن تنفرد بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها فوجود نظرية أخرى يضعف الأهمية العلمية للنظريتين.

5. وظائف النظرية السوسيولوجية:

هناك عدة وظائف للنظرية السوسيولوجية أهمها:

1. تحاول أن تشكل الإطار التصوري المشترك بين مجموعة الباحثين فيما يتعلق بمجالات وموضوعات محددة، مما يسهل عملية الاتصال بين مختلف النتائج والتفسيرات المتعلقة بالحقائق الامبريقية المتباينة ، بالإضافة إلى أنها تنظم الكم الهائل من المعرفة في شكل إطارات نظرية .
2. وصف الوقائع في إطار دراسة النسق الواقعي باستخدام وسائلها المتمثلة في المفاهيم والفروض.
3. تثري البحث بواسطة طرح إرهاصات مهمة للاستقصاء المستقبلي، ولذا فان العلاقة بين البحث والنظرية تكون تبادلية، فالبحث يمول النظرية بمعلومات نابعة من الواقع.
4. تعتبر مرجعا لاشتقاق الفروض الموجهة للبحث والمصدر الرئيسي لصياغتها وأحد مكونات الإطار المرجعي لتفسير النتائج والبحوث والدراسات.
5. تهدف النظرية إلي تقديم القاعدة المنطقية للتنبؤ الاجتماعي ، وهذا هو أحد أهداف علم الاجتماع ، أي أنها تساعد الباحث الاجتماعي على معرفة مستقبل العلاقات الاجتماعية وآثارها.
6. تساعد النظرية على التفسير في دراسة الواقع الاجتماعي كما تعمل وتساعد على التنبؤ بالمستقبل فيما يتعلق بموضوع ما.كما تعمل على تحفيز العقل أو الفكر العلمي على خلق وإبداع تفسيرات جديدة لمشكلات وتعقيدات خلقتها المشاهدة والتجربة في الواقع.

وأخيرا يمكن القول بان النظرية السوسيولوجية ، ينبغي أن تستقرئ وتتنبأ بأحداث المستقبل وظواهره الاجتماعية مثلما تقوم بتشخيص وتفسير أسباب الأحداث الماضية للظواهر الاجتماعية . والجدير بالذكر انه هناك جدل واسع بين علماء الاجتماع حول "علمية" علم الاجتماع وقدرته على تأسيس نظرية علمية قادرة على التحكم بالظاهرة الاجتماعية، وهذا ما يفسر التناقض في الجدل الدائر حول "ما إذا كان علم الاجتماع علما ؟ وهل لديه القدرة على بناء النظرية ؟.

وبناء على ذلك فان النظرية السوسيولوجية بمقاييس العلم تعتبر علمية، لأنها أساس موضوع علمي، حيث أنها تستخدم الطريقة الاستقرائية التي تعتمد على الملاحظة والمقارنة والتصنيف والاستدلال والتعميم ، أي تتخذ نفس الخطوات الموجودة في العلوم التي تقوم على تقرير نظرية ترتكز على المعلومات التجريبية ، فيمكن اختبار مدى صحتها في ضوء ما تحمله من فروض ومقررات ومعلومات وحقائق.

وعلى العموم فالنظرية السوسيولوجية الحديثة تتميز بأنها ترتكز على فكرة مؤداها أن الحياة الاجتماعية يمكن ردها إلى قوانين علمية ،ويمكن اعتبارها محاولة علمية للسيطرة على الظواهر الاجتماعية من خلال تصورات منطقية . وبمعنى آخر النظرية السوسيولوجية على حد تعبير "نيكولا تيماشيف" تعتبر "أعلى درجات المعرفة" لأنها الوسيلة لإقامة المعرفة في الواقع الاجتماعي.

المحاضرة الثانية :النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية في علم الاجتماع:

تمهيد: إن المتتبع لتاريخ الفكر الاجتماعي عموما ، وعلم الاجتماع على وجه الخصوص يرى أن علم الاجتماع ينقسم الى اتجاهين نظريين سائدين في علم الاجتماع هما:

- الاتجاه المحافظ (المثالي)
- الاتجاه الراديكالي (المادي، الثوري)

- **الاتجاه المحافظ (المثالي)**: يعد هذا الاتجاه من أهم الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، يرجع مظاهر التطور والتغير في المجتمع إلى تحليلات فكرية ، قيمية ، سلوكية وسيكولوجية ، ونجد أن أكثر الاتجاهات تعبيرا عن هذا الموقف المحافظ في علم الاجتماع هي: البنائية الوظيفية، النزعة الامبريقية والوضعية الجديدة.
- **الاتجاه الراديكالي (المادي، الثوري)**: ويتلخص في أفكار كارل ماركس ومختلف الاتجاهات السوسيولوجية التي تبنت هذا الاتجاه، ويرجع أنصار هذا الاتجاه مظاهر التطور والتغير إلى تحليلات مادية واقتصادية مفسرين التطور التاريخي على أساس الصراع.

يمكن أن نصنف الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع في النظريات الثلاث:

- النظرية الوضعية
- النظرية الوظيفية
- النظرية الماركسية

أولا: الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع:

1. مدخل إلى مفهوم الاتجاه الوضعي:

استند الفكر الوضعي إلى حقيقة العلم والمنطق التجريبي، رافضا الفكر الميتافيزيقي ، مستفيدا من العلوم الطبيعية في تفسير الظواهر الاجتماعية ، وإيجاد القوانين التي تخضع لها ، أي أن الوضعية تقوم على تأكيد الوقائع العلمية ونبذ التأملات النظرية، بالاعتماد على دراسة ما هو كائن بالفعل أو ما هو قائم ، بدلا من الأفكار التأملية الميتافيزيقية التي كانت منشغلة بما يجب أن يكون عليه الفكر ، وما ينبغي أن يكون عليه المجتمع.

ورغم تنوع جذور الوضعية إلا أنها ترجع في بعض جوانبها إلى التطورات المنهجية التي حققها الفكر التجريبي على يد "فرانسيس بيكون" ، والى فلسفات التنوير التي أكدت على ضرورة الإيمان بالعقل الإنساني وأعماله في ترشيد حركة التطور البشري، والى النجاح الذي حققته العلوم الطبيعية التي تدرس جزءا من ظواهره. وأن الحاجة أصبحت ماسة إلى علم اجتماعي يدرس ظواهر الاجتماع كجزء من ظواهر الكون والطبيعة.

إن الوضعية في مجملها تشكل تصورا شاملا للنظام الاجتماعي ، حيث يتلخص موقفها في أن المرحلة الميتافيزيقية قد انتهت وأن الفلسفة النقدية فلسفة هدامة ، وأننا في حاجة إلى فلسفة وضعية أو علم يتولى ضبط المجتمع وتغييره وفقا للقوانين التي تحكم تطوره وتفاعله ويمكن اكتشافها ، ونادى هذا الموقف بضرورة تناول ظواهر الاجتماع بالدراسة بنفس منطق التناول الذي تتم به دراسة ظواهر الطبيعة، ويعد كل من "أوجست كونت" و "هربرت سبنسر" و"ايميل دوركايم" أبرز ممثلي هذا الاتجاه على الإطلاق. فالاتجاه الوضعي اشتمل على عدد من الأفكار المختلفة منها الإيمان بالعلم كأساس ومصدر لكل معرفة ، واستخدام التحليل الإحصائي في النظرية الاجتماعية، والبحث عن تفسيرات علمية للظاهرة الاجتماعية ، والقوانين التي تحكم عملية التغير التاريخي والموجهة للطبيعة البشرية .

ويرتكز الفكر الوضعي على مرتكزات أساسية هي:

- الإيمان بالمذهب الطبيعي، وافتراض أن العالم الطبيعي يخضع لقواعد العلية.

- العقلانية ، وافتراض أن الكائنات البشرية عقلانية في سلوكها.
- التطور الاجتماعي ، وافتراض أن المجتمع يسير في تطور دائم.
- الإصلاح الاجتماعي ، وافتراض أن التقدم الاجتماعي هو الهدف الإنساني.
- أهمية الالتزام بإرادة المجتمع العامة (النزعة المحافظة).

2. أوجست كونت وعلم الاجتماع الوضعي:

يعد **اوجست كونت"A.Comte"** ولد أوجست كونت سنة 1798 في مونبيلييه بفرنسا ، من أسرة كاثوليكية شديدة التدين ، التحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس سنة 1813، في عام 1816 تزعم حركة عصيان قام بها الطلاب ، فصل عقبها من المدرسة . واصل دراسته بعد ذلك إلى أن عين معيدا في مدرسة الهندسة .عمل سكرتيرا للمفكر الاشتراكي "سان سيمون" .بدأ في سنة 1826 في إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في الفلسفة الوضعية ، ثم ؟أصيب بمرض عقلي جعله ينقطع عن مواصلة محاضراته. ثم عاد ما بين سنتي 1830-1843 إلى إلقاء محاضراته التي انقطع عنها، وفيها قدم تصوراته للمعرفة والعلوم، وحاول من خلالها وضع أسس علمه الجديد الذي أطلق عليه في بادئ الأمر "الفيزياء الاجتماعية" ثم عاد تجنبا لتكرار هذا الاسم الذي سبقه إليه " كتيلييه" فأطلق عليه اسم "علم الاجتماع".

وهو أستاذ الفلسفة الوضعية الفرنسية وهو أول من وضع مصطلح "السوسيولوجيا "وكرس كافة جهوده لتوضيح معالم هذا العلم ورسم حدوده ، كما علق عليه آمالا واسعة بأن يصبح بيوم من الأيام مع تطور الدراسات في مجال المجتمع كالعلوم الأخرى كالكيمياء والفلك والرياضيات وغيرها. وبالتالي فهو أحد رواد علم الاجتماع الذين أسهموا إسهاما كبيرا في بناء نسق من المعرفة السوسيولوجية ، يرتكز على المبادئ المستقرة للعلوم الطبيعية ، ويستمد تطلعاته وطموحاته الفكرية من الحوار الذي فرضه العصر بين الفكر والواقع

وقد ارتبط ظهور الوضعية بنشر كونت لكتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" بين سنتي 1842و1880، محاولا أن يسعى بنظريته إلى تحقيق حالة من الاتساق العام في المجتمع ، حيث يرى أن المجتمع لا يمكن أن يقوم إلا على أساس نوع من الاشتراك في الأفكار بين أولئك الذين يكونون المجتمع من حيث الاتساق العام هو الحقيقة الأساسية في النظام الاجتماعي. وقد اعتقد كونت أن الفلسفة الوضعية أكثر سموا من الفلسفات السابقة عليها، وهي وحدها القادرة على التسليم بالقانون الأساسي المتعلق بالتطور البشري المستمر. تأثر كونت بالعديد من علماء عصره ، وانبهر بالحياة العلمية ، ورسم لنفسه طريقا فكريا خاصا به، حيث اختلف مع أستاذه سان سيمون Saint Simon (1760-1825)، حول فكرة الإصلاح الاجتماعي والإصلاح العلمي من حيث الترتيب والأهمية ، فهو يرى بأن الإصلاح الاجتماعي ينبغي أن يتقدم من ناحية الأهمية والأولوية على الإصلاح الاجتماعي، لأنه الخطوة الأولى لعملية التغير والإصلاح الاجتماعي..

ويشير عدد من الباحثين إلى أن الثورة الفرنسية وإفرازاتها الاجتماعية والفكرية هي التي جعلته يختار نزعته الوضعية في حل مشكلات المجتمع الفرنسي، وإيجاد الحلول لها ، بعد أن لاحظ سيطرة التفكير الديني الميتافزيقي في تفسير الظواهر الاجتماعية، فوضع مونت قوانين اجتماعية وأخلاقية وشرعية

جديدة يمكن أن يسير عليها المجتمع الفرنسي. ومثل هذه القوانين أخذها من عدة علوم أهمها السياسة والاقتصاد والقانون وعلم النفس ، بحيث أسست هذه القوانين الصرح المنهجي والموضوعي للعلم الجديد ، الذي وضع أسسه ومنهجه ومضمونه.

أسس كونت اتجاهه الوضعي من خلال محاولته الاعتماد على المعرفة العلمية للوقائع والظواهر ، والنظر إليها على أنها خاضعة لقوانين طبيعية لا تتغير ، وتوصل إلى ما أسماه قانون الحالات الثلاثة (بمعنى التفكير العلمي مر عبر ثلاث مراحل: المرحلة اللاهوتية، المرحلة الميتافزيقية ، المرحلة الوضعية) ويعتقد كونت أن هذه المراحل الثلاث تمثل قانونا عاما ، ينطبق على الإنسانية بأسرها ، وهو أكثر من مجرد مبدأ يحكم تقدم المعرفة ، فالفرد في تطور تربيته وتعليمه إنما يمر بهذه المراحل شأنه شأن المجتمع الإنساني ذاته. ويفهم من هذا القانون أن كونت اعتبر الفكر محرك المجتمع وصانعه ودافعه، بمعنى آخر أن التغير في الفكر يؤدي إلى تحول المجتمع من حالة إلى أخرى، فالفكر أولا ثم الوجود.

فكل ذلك قاد كونت إلى التفكير لوضع علم للمجتمع أو دين للإنسانية ، يجنبها النزاعات السياسية ويحقق التوازن والاستقرار ، مؤكدا على العلاقة الموجودة بين العلم والمجتمع، من خلال قوله بأنه إذا كانت الغاية هي تنظيم المجتمعات الحديثة على قاعدة العلم ، فإن علم الاجتماع هو الذي سيسهم في ذلك ، لأنه علم كلي يدرس المجتمع برمته في جميع مظاهره ومقوماته .

ويرى كونت أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية في حالة سكونها وحركتها وبهذا قسم علم الاجتماع إلى قسمين رئيسين هما:

- قسم ستاتيكي(سكوني): يتضمن دراسة أحوال المجتمع كما هي موجودة فعلا، وأساس الحالة الاستقرارية في المجتمع هي النظام.
- قسم ديناميكي (حركي): ويعنى بدراسة حركة المجتمع ونموه المستمر ، وأساس الحالة الديناميكية في المجتمع هي التقدم، وهذا يعني ضرورة ربط قوانين السكون بقوانين الحركة في كل تنظيم اجتماعي.

ويمكن تلخيص أهم أفكار كونت الوضعية في النقاط التالية:

- إن الوحدة العقلية تقود إلى الوحدة السلوكية والمعرفية ، والتي تؤدي بدورها إلى التخفيف من حدة الصراعات القائمة بين التصورات المثالية للمجتمع، والظواهر الاجتماعية والتصورات الواقعية للمجتمع.

- إن الاتساق العام في المجتمع هو أساس النظام والتقدم ، فالستاتيكا الاجتماعية هي دراسة لارتباط الظواهر يبعضها البعض الأخر ، وأجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها كما لو كان لكل منها وجود مستقل.
- المجتمع هو صانع الفرد ، ومن ثم يجب أن نخضع الفرد للمجتمع خضوعا تاما، وبناء على ذلك فان وحدة الدراسة في علم الاجتماع - بالنسبة لكونت- هي الجماعة وليس الفرد

هربرت سبنسر (1820-1903): وهو من أشهر فلاسفة التطور على الإطلاق، فمن وجهة نظر علم الاجتماع الحديث فان سبنسر قدم إسهاما كبيرا للفكر السوسيولوجي ويتمثل في تأكيده على أهمية البناء الاجتماعي وما ينظمنه من نظم اجتماعية ، أي الأجهزة التي يتضمنها المجتمع بوصفه كائنا فوق عضوي،وقد ميز سبنسر بين النظم المحافظة كالزواج والقرابة والنظم الاقتصادية وهذه الأخيرة التي تتولى تحديد القواعد وحمايتها كالدين والسياسة ، أما البناء الاجتماعي هو ضرب من التوازن يتحقق من خلال الوظائف المتبادلة التي تؤديها النظم الاجتماعية المختلفة,إن سبنسر قد أسهم إسهاما كبيرا في علم الاجتماع خصوصا.

من جملة مؤلفاته والتي من بينها "المجال الصحيح للحكومة" سنة 1842، "الستاتيكا الاجتماعية " سنة 1850، "دراسة علم الاجتماع" سنة 1874، أما المؤلف الذي نال به لقب "أرسطو القرن 19"هو بعنوان " نسق الفلسفة التركيبية " سنة 1896 حيث يرى أن قضايا الفلسفة تتصل فقط بكل الأمور التي يمكن أن تخضع للملاحظة سواء بالنسبة للطبيعة أم المجتمع.

كانت إسهامات سبنسر أكثر شيوعا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ،حيث حاول من خلال كتاباته أن يركب بين النزعة الفردية الراديكالية التي استندت إلى الاقتصاد السياسي الحر وبين النزعة الجمعية العضوية المنبثقة عن العلوم الطبيعية وبخاصة الفيزياء والبيولوجيا (. فتمكن بدوره من أن يقدم نظرية عن التقدم أقامها على أساس المكانة المتفوقة للعلوم الطبيعية ، وعلى ما تميزت به رأسمالية القرن التاسع عشر من طابع فردي تنافسي. لقد صاغ سبنسر المقومات الأساسية لنظريته عن التطور عندما نشر داروين كتابه أصل الأنواع سنة 1859.

إن المماثلة العضوية التي تطرق إليها سبنسر في كتابه "مبادئ علم الاجتماع" كان الهدف منها هو التشبيه مما أسهمت في ظهور النزعة البيولوجية أو الحيوية في علم الاجتماع ، والجانب الثاني في هذه المماثلة أيضا هو استخدام سبنسر للبيانات الاثنوغرافية في دراسة العمليات والنظم الاجتماعية مما أحدث مزيدا من التقارب بين علم الاجتماع والاتنولوجيا وتحطيم الحواجز التي كانت بينهما.أما الجانب الثالث يتمثل في المنهج المقارن الذي استخدمه سبنسر مما منح لعلم الاجتماع مكانة العلم الحقيقي.و الجانب الرابع يتمثل في نظرية التطور ذاتها ، تلك النظرية التي أوضحت بجلاء تطور المجتمعات الإنسانية ابتداء من العشائر المبعثرة التي ظهرت في فجر التاريخ مرورا بالمجتمعات التي حقق فيها رجال الدين والجيش سيطرة كبيرة وصولا إلى المجتمعات الصناعية المعاصرة.

لقد ارتبط سبنسر بالوظيفية من خلال طرحه مفهوم "التمايز" الذي يعني به الاعتماد المتبادل بين الأجزاء المتباينة للنسق . والتي تصبح بالضرورة متباينة بموجب الزيادة في حجم المجتمع وبنفس الطريقة يستخدم

الوظيفيون مفهوم التمايز كأحد الجوانب الهامة في ترابط النسق الاجتماعي وتكامله، لقد تشابهت نظرية سبنسر في التحول الاجتماعي مع نظرية دوركايم حول تقسيم العمل في المجتمع. وهي النظرية التي كان لها تأثير كبير في الوظيفيين المعاصرين.

3. ايميل دوركايم وإسهاماته في علم الاجتماع والاتجاه الوضعي:

يعد **اميل دوركايم** " Emil Durkheim "، عاش دوركايم في الفترة ما بين 1858-1917 ، يعد من أوائل الفرنسيين في علم الاجتماع الذين ساروا في طريق العمل الأكاديمي، ولد في Enipale باللورين – المقاطعة الفرنسية الشرقية- ، وهو ابن لوالد من الحاخامات اليهود ، الذي أراد لابنه ا يسير على نهج الأسرة بان يصبح رجل دين، ومن ثم درس العبرية وقرأ كتاب العهد القديم ، والتلمود الذي يحوي تعاليم الأحبار الربانيين الموسويين. وفي الوقت ذاته درس العلوم العلمانية وسار في التعليم الحكومي، تم قبوله سنة 1879 بالمدرسة العليا وفيها التقى بعدد من الرجال الذين تركوا آثارا واضحة على الحياة الفكرية في فرنسا أمثال "بيير جانيت" ، "هنري برجسون" و "فوستيل دي كولانج". تأثر دوركيم بأفكار "سان سيمون" و"جان جاك روسو" و"منتسكيو".
من أهم وأبرز رواد علم الاجتماع ، وكثيرا ما يوصف بأنه المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع بعد كونت ، ساهم بقسط كبير في تحديد مجال علم الاجتماع وطبيعة الظواهر التي يعالجها هذا العلم ، والأسلوب المنهجي لهذه المعالجات ، وهو أول من حدد بدقة خصائص الظاهرة الاجتماعية ودعا إلى وجوب دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء حتى يتحقق لعلم الاجتماع الموضوعية التي تتميز بها العلوم الطبيعية ، فهو صاحب مقولة"إن الظواهر الاجتماعية أشياء ويجب أن تدرس على أنها أشياء". و دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها ظواهر موضوعية تقع خارج ذوات الأفراد.

يمثل دوركايم نقطة تحول هامة في تاريخ الفكر الاجتماعي ونظرية علم الاجتماع ، جعل اهتمامه منصبا على تحديد موضوع علم الاجتماع وتمييزه عن علم النفس ، وتحريره من الفلسفة الاجتماعية ، وحاول جاهدا أن يحتفظ لعلم الاجتماع بكيانه الخاص كعلم يعتبر ضروريا وكافيا لتفسير الواقع الاجتماعي تفسيرا شاملا، ودعم دوركايم موقفه هذا بمجموعة من الدراسات المتخصصة التي تناولت منهج علم الاجتماع ، وتقسيم العمل، الانتحار، والدين وبذلك كون مدرسة فكرية هامة في علم الاجتماع، بل أن تأثيره قد جاوز ميدان علم الاجتماع ذاته ، فانعكس على تفكير المتخصصين في الانثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس والقانون والاقتصاد واللغة والدين.

وعلى غرار العديد من علماء الاجتماع ، حاول دوركايم أن يطور طرائق لدراسة المجتمع والتغير الاجتماعي مما ساعد في تفسير كيفية قيام المجتمع فيها بأداء وظائفه وتغييرها ، وكذا تفسير طبيعة المجتمع وأدائه لوظائفه.حيث وضع نظرية تستند إلى التضامن العضوي ، ونظر إلى التغير على أنه مرغوب فيه إذا كان ينطوي على فوائد تعود على المجتمع ككل ، وحاول أن

يقدم نموذجا لمجتمع يخلو من التأكيد المفرط للقوة والصراع السياسي ، والتدرج الطبقي معارضا بذلك كل ما كتبه ماركس .

بمعنى أن اهتمام دوركايم بالتضامن يعكس خوفه من الصراع الاجتماعي والسياسي الذي ساد في عصره ، مؤكدا أن تقسيم العمل وتقدم العلم والصناعة ، لن يترتب عنها تفكك اجتماعي على نحو ما ذهب إليه كونت ، فكل شيء يعتمد بالنسبة لدوركايم على وجود النظام الأخلاقي الذي يلائم هذه الظروف والأوضاع الاجتماعية الجديدة .فازدياد نمو الصناعة والعلم ، يؤدي إلى تزايد درجة التساند المتبادل بين الأفراد والجماعات في المجتمع ككل ، وكمحاولة لفهم العلاقة الموجودة بين المعرفة والمجتمع عند دوركايم نجده يؤكد على فكرة مفادها أن "المعرفة تنبع عن المجتمع وتصوراته شانها شأن الدين ، ".

والواقع أن دوركايم كان رائدا لما يسمى الآن بعلم اجتماع المعرفة ، حين كشف بطريقة تفصيلية كيف أن أشكال التصنيف والمقولات الأساسية للفكر إنما هي من نتاج المجتمع و أن أصولها اجتماعية خالصة .

<u>خلاصة</u>:

تؤكد معظم الدراسات المتعلقة بتاريخ النظرية السوسيولوجية بأن الإسهامات الفكرية لكونت ودوركايم في مجال الوضعية خصوصا تدور حول نقاط جوهرية ، وهي ضرورة المحافظة على المجتمع وتماسكه ، بعد فترات التفكك السياسي والاجتماعي ، واهتمامهم بالجوانب الأخلاقية من أجل إصلاح المجتمع وتطوره ، حيث اتسمت إسهاماتهم بالنزعة الايديولوجية المحافظة، فإذا تحدثوا عن التطور قصدوا به ذلك التطور الذي تمر به بشكل خطي نحو التقدم.

ولعل أغرب ما جاء به كونت هو اعتقاده بأن تطبيق الاتجاه الوضعي،سوف يؤدي إلى إنشاء نوع جديد من الديانة تتجاوز كافة الديانات الأخرى ، حيث قيل أن كونت حول العلم إلى فلسفة كما حول الفلسفة إلى دين. ومن أبرز الانتقادات التي وجهت إلى كونت هو إعطاؤه الأولوية لتطور البشرية إلى تطور فكري وجعله أساسا للتطور في كافة المجالات الأخرى في حين أن تطور المجتمع الإنساني لم يكن خطيا أبدا ولا يمكن تفسيره بعامل واحد أو على نمط واحد وإنما يأتي نتيجة تفاعل عوامل عديدة ، ويعد تطور التفكير نتيجة من نتائج تطور المجتمع ، إذ لا يمكن فصل تطور التفكير عن تطور المجتمع ككل.

وبالنسبة لدوركايم تشير الأبحاث بأنه وقع في أكثر من تناقض وأكثر من إشكال . ففي الوقت الذي طالب فيه بدراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء أنكر أهمية الجوانب المادية والاقتصادية فيها. وفي الوقت الذي طالب بإبعاد التفسيرات البيولوجية والنفسية عن الحقل السوسيولوجي ، نجده كثيرا ما كان يعقد مماثلات بيولوجية بين الظاهرة المجتمعية والظاهرة الحيوية .

المحاضرة الثالثة النظرية الوظيفية

1. الجذور الفكرية للاتجاه الوظيفي:

ظهر الاتجاه الوظيفي في البداية كمنهجية ونظرية متميزة لدراسة المجتمع، في أعمال كونت وسبنسر ودوركايم ، وفي مجال الانثروربولوجيا ظهر في أواخر القرن التاسع عشر والبدايات الأولى من القرن العشرين في كتابات الانثروبولوجي "راد كليف براون" Radcliffe Brown و"مالينوفسكي" Malinowski. غير ان دوركايم كان أكثر علماء الاجتماع تأثيرا في تطور الوظيفية السوسيولوجية ، ذلك لأنه كان يرى بأن النظم الاجتماعية توجد فقط من اجل إشباع حاجات اجتماعية معينة، ،فكل الأنساق الأخلاقية تشكل وظيفة التنظيم الاجتماعي. وفي كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" يقرر دوركايم صراحة إن وظيفة الواقعة الاجتماعية وظيفة اجتماعية لأنها تؤدي بالضرورة إلى نتائج مفيدة اجتماعيا.

فجذور الفكر البنائي الوظيفي ترجع إلى الفكر الوضعي ، أي منذ بداية القرن التاسع عشر ، غير أن بعض الباحثين يذهبون أكثر من ذلك تاريخيا حيث يرجعونه إلى أفكار أرسطو وأفلاطون ومن ثم ابن خلدون. فالمماثلات بين المجتمع والكائنات العضوية قديمة قدم التفكير الاجتماعي. و يعتبر كل من كونت ، "سبنسر"، "باريتو" ، "دوركايم "، وفيما بعد رواد الانثروبولوجيا "راد كليف براون" و"مالينوفسكي" الرواد المفكرون الأكثر أهمية بالنسبة للوظيفية المعاصرة. فقد ركز كل من كونت، سبنسر وباريتو على الاعتماد المتبادل بين أجزاء النسق الاجتماعي، كما ركز دوركايم على التكامل أو التضامن وقد كان فكره ملهما لكل من راد كليف براون ومالينوفسكي في تحليلاتهما لوظيفة المؤسسات الاجتماعية. فالوظيفية كمنهج ونظرية قد ظهرت في العلوم الاجتماعية من خلال المحاولات التي بذلها علماء الانثروبولوجيا خلال القرن التاسع عشر من أجل فهم الرواسب الثقافية في المجتمعات البدائية .

يعتبر دوركايم Emile Durkheim (1858-1917) أهم رواد الوظيفية المعاصرة ، وكذلك فان تأثير كونت على "دوركايم" وبالمقابل تأثير دوركايم على "راد كليف براون "و"مالينوفسكي" كان ذات أهمية حاسمة في تطورها. لقد أكد "بارسونز" بان "دوركايم" كان من أهم النماذج الفكرية التي تأثر بها. وبالمثل فقد أكد "ميرتون" بأن "دوركايم " كان علما كبيرا وأحد الذين تلقى عنهم ، بالإضافة إلى الذين تتلمذ على أيديهم مباشرة.

2. مفهوم الوظيفية:

إن مفهوم الوظيفية يرجع أصله إلى علم الإحياء ، ويستخدم أيضا في علم الإدارة ، ويستخدم مصطلح "الوظيفة" في علم الاجتماع للإشارة إلى نشاطات نسق محدد وتكيفه ، أو ما يلعبه الدور أو النظام في تلبية حاجات الوحدة الاجتماعية . أما مصطلح "الوظيفية "فيشير إلى "أن المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزاؤه سوية لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته ، ووفقا لهذه المقاربة فان على علم الاجتماع استقصاء مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته ، ويمكننا أن نحلل النشاطات الإنسانية والأفعال بما يترتب عليها من نتائج".

كما يعرف المعجم الحديث لعلم الاجتماع الوظيفية بأنها" تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية استنادا إلى الوظائف التي تؤديها في نسق اجتماعي ثقافي ، وتتصور الوظيفية المجتمع بأنه نسق مكون من أجزاء مترابطة مع بعضها البعض بحيث لا يمكن فهم الجزء بمعزل عن الكل الذي يوجد فيه، فالتغير في أي جزء يؤدي إلى درجة معينة من اللاتوازن الذي ينتج في المقابل تغيرات في أجزاء النسق الأخرى ، ويقود

إلى حد ما إلى تنظيم النسق للكل. لقد ارتكز تطور الوظيفية على نموذج النسق العضوي في العلوم البيولوجية.

تركز الوظيفية على التحليل السوسيولوجي بعيد المدى ولذلك فهي تهتم بالخصائص الكلية للبناء الاجتماعي والطبيعة العامة للمؤسسات.

غالبا ما يدعى هذا المنظور "بالبنائية الوظيفية " بسبب تركيزه على المتطلبات الوظيفية أو الحاجات التي ينبغي على النسق الاجتماعي أن يلبيها إذا ما أراد البقاء ، وكذلك تركيزه على البناءات المنسجمة مع تلبية تلك الحاجات . وحسب وجهة النظر هذه ، فان الأنساق الاجتماعية تتضمن ميلا لأداء مهمات معينة ضرورية من اجل المحافظة على بقائها. ولهذا فان التحليل السوسيولوجي يحاول البحث عن البناءات الاجتماعية التي تؤدي تلك المهام أو تلبي تلك الحاجات التابعة للنسق الاجتماعي. ومع مرور الوقت أصبح يطلق على المنظرين الأساسيين لهذا المنظور"تالكوت بارسونز" و"روبرت ميرتون "بالبنائيين الوظيفيين.

3. أهم منطلقات الاتجاه الوظيفي:

تنطلق الوظيفية من عدة قضايا مترابطة ومتداخلة ، فهي تسلم بأن المجتمع يمثل كلا مؤلفا من أجزاء مترابطة يؤدي كل منها وظيفة معينة من اجل خدمة أهداف الكل ، ومعنى ذلك أن المجتمع ما هو إلا نسق يضم مجموعة من العناصر المتساندة التي تسهم في تحقيق تكامله ، غير أن تكامل الأجزاء لا يتم دائما على نحو مثالي، وبالتالي فلا بد وأن تتكيف هذه الأجزاء مع المؤثرات الخارجية والداخلية في ضوء ميل عام يتجه نحو الاستقرار.

كما تعتبر الوظيفية أن التغير الاجتماعي لا يكون "ثوريا" بل "تدريجيا" و"تكييفيا" في آن واحد، أما في حالة حدوث تغير سريع في البناء الفوقي للمجتمع، فان البناء التحتي يظل ثابتا دون تغير يذكر. وفي معظم الأحيان فان التغير يحدث بفعل عوامل خارجية أي من خلال التباين البنائي والوظيفي، أما التكامل الاجتماعي الذي يتحقق بعد ذلك فيتم من خلال "إجماع قيمي" و"توجيهات معرفية مشتركة،] من خلال مجموعة من المبادئ والأسس التي تضمن الشرعية للبناء الاجتماعي القائم .

تؤكد الوظيفية على ثلاث قضايا في تحليل الأنساق الاجتماعية وهي:

- الترابط العام أو الاعتماد المتبادل بين أجزاء النسق.
- وجود صيغة سوية من التوازن تشبه في معناها الحالة الصحية السوية للكائن الحي.
- الطريقة التي يعاد فيها تنظيم الأجزاء بحيث تعود معها الأمور إلى وضعها الطبيعي.

يرى الوظيفيون أن المجتمع يعمل بطريقة مماثلة لقيام الكائن الحي بوظائفه ، ويشار إلى هذه المقارنة بالمماثلة العضوية ، ومن ثم فان النظم الاجتماعية تقوم بوظائفها معا من اجل مصلحة الكل مثلما يقوم مختلف أجزاء الجسم بوظائفها معا من اجل مصلحة الكل.و أن التغير الاجتماعي يحدث عندما يتبين انه ضروريا من الناحية الوظيفية ، فعلى سبيل المثال فان توسيع المجتمعات المعاصرة للأنظمة التعليمية يرجع إلى أن تلك المجتمعات في مزيد من الحاجة إلى المتعلمين. ويمكن أن يحدث التغير داخل المجتمع من خلال التكيف والتكامل ويميل الوظيفيون إلى التفكير في التغير بطريقة تطورية لا ثورية.

فالنظام والتوازن حسب الوظيفيون طبيعيان في المجتمع ومن ثم فانه في حالة عدم التوازن (الحرب مثلا) فان المجتمع في حالة اجتماعية غير طبيعية ويشبه الوظيفيون حالة عدم التوازن في المجتمع بالمرض في الكائنات الحية، وأساس التوازن الاجتماعي هو وجود إجماع أخلاقي بمعنى الأفراد يشتركون بنفس القيم وبهذا يؤكد الوظيفيون على أهمية القيم الاجتماعية في المحافظة على النظام الاجتماعي.

لقد كان علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر أمثال أوجست كونت ، هربرت سبنسر متأثرين بأوجه التشابه التي لاحظوها بين الكائنات البيولوجية الحية وبين الحياة الاجتماعية ، وقد اتجه هربرت سبنسر بصفة خاصة إلى الإعلان عن مبدئه المعروف بمبدأ المماثلة العضوية أي تشبيه المجتمع بالكائن الحي. لقد نظروا للجسم الإنساني بوصفه نسقا يتكون من مجموعة من الأعضاء المترابطة والمتفاعلة ، وكل عضو يؤدي وظيفة أو وظائف أساسية من اجل بقاء الكائن الحي أو بقاء النوع الذي ينتمي إليه هذا الكائن الحي . فالأعضاء تمثل بنيات وتركيبات تواجه بواسطتها متطلبات الكائن الحي ، فالقلب مثلا هو بناء يؤدي وظائف متعددة تواجه متطلبات استمرار الكائن في الوجود ، وكل الأعضاء تتساند وتتكامل وتتفاعل من اجل استمرار بقاء الكائن ككل، ومن ثم فان أي خلل يصيب بناء منها سوف يؤثر بالتالي على الأبنية الأخرى ، فإذا أصيب القلب مثلا بخلل في وظائفه سوف تتأثر بالضرورة وهكذا.

لقد فهم علماء الاجتماع الوظيفيون النظم الاجتماعي بوصفها مماثلة للكائنات الحية ، ويصنف الوظيفيون النظم الاجتماعية في ضوء الوظائف الرئيسية التي تؤديها فالنظم الاقتصادية تؤدي وظائف الإنتاج، والأسرة تؤدي وظائف التنشئة الاجتماعية والإنتاج البشري ، أما النظام السياسي فيقوم بحماية المواطنين من الاعتداءات وهكذا....

4. <u>بعض ممثلي الاتجاه الوظيفي والمساهمين في تطويره:</u>

ماكس فيبر Max Weber(1864-1920): ولد "ماكس فيبر" في أفريل سنة 1864 في Erfert بألمانيا. كان والده محاميا عمل بالسياسة ، وانتخب عضوا بالبرلمان ، وكان من زعماء الحزب الحر، كانت أسرته بورجوازية موضعا وتوجها.انتقل مع أسرته إلى برلين سنة 1869 ، وأعد ليكون عضوا بالكنيسة البروتستانية سنة 1879. بدأ في دراسة الاقتصاد منذ عام 1882 فالتقى بأفكار "آدم سميث" و"كارل ماركس" وغيرها ، كما التقى بالفلسفة خاصة الوجودية . وبعد حصوله على الدكتوراه قام بتدريس القانون في جامعة برلين سنة 1892 وعمل أستاذا للسياسة سنة 1894 وأستاذا للاقتصاد سنة 1897 ، سافر إلى أوروبا وأمريكا بين سنتي 1899 و 1904 . أصيب بانهيار عصبي حاد أقعده عن نشاطه الأكاديمي ولم يستطيع العودة إلى التدريس إلا سنة 1918. توفي سنة 1920 في وقت بلغت فيه قدراته الفكرية أقصاها.

ركز فيبر في تحليلاته السوسيولوجية عدم الفصل بين الفرد والمجتمع ، حيث يرى أن هذا الفصل مستحيل لأن الفرد والمجتمع يوجدان في حالة تفاعل يمكن لكليهما أن يغير في الأخر وليس في حالة من الاستقلال. كما يرى بأن قيم الناس وأفكارهم ومعاييرهم تتأثر بالمجتمع كما أن الناس يغيرون في المجتمع أيضا ، ويؤكد على أن وظيفة الفرد هو إسهامه في الكل (المجتمع) ، وذلك من أجل الوصول إلى حالة من التوازن والاستقرار (وهذا ما تذهب إليه الوظيفية أيضا).

ومن جهته ماكس فيبر يرى أن التغير الاجتماعي يمكن أن يحدث لأسباب عديدة بتعبير أدق ، فإن التغير الاجتماعي متعدد العوامل وفقا لتحليل فيبر، مؤكدا على أن ماركس قد بالغ في التأكيد على الصراع الطبقي كسبب للتغير الاجتماعي .

ويعد فيبر واحدا من الأوائل الذين وجهوا سهام النقد الحاد إلى ماركس ، ويظل الموقف البديل الذي اتخذه فيبر موقفا مهما لغاية اليوم ، وحسب رأيه فإن العوامل غير الاقتصادية لعبت دورا أساسيا في النمو الاجتماعي الحديث ، وفي كتابة " الأخلاق البروتسانية وروح الرأسمالية " ذلك الكتاب الذي حظي باحتفاء ومناقشات واسعة " يزعم فيبر أن القيم الدينية خاصة القيم المرتبطة بالتزمت " puritanisme " كانت ذات أهمية محورية في ظهور وجهة النظر الرأسمالية التي تظهر كما يفترض ماركس نتيجة للتغيرات الاقتصادية في حد ذاتها " .

كما اشتهر بأنه أحد المفكرين الذين انهمكوا في تحليل ظاهرة الحداثة ، وكيفية نشوءها وتشكلها وسيطرتها على المجتمعات الصناعية المتقدمة ،ولذلك فأي مثقف معاصر يريد إن يتحدث عن الحداثة لا بد عليه العودة إلى ماكتبه فيبر عنها ، من تنظيرات و أطروحات والسؤال الذي كان يطرحه فيبر هو : لماذا ظهرت الحداثة العلمية والتكنولوجية والبيروقراطية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فقط ؟ بمعنى لماذا تطورت العقلانية في هذه المنطقة من العالم أكثر مما حصل في سواها ؟

ففهم فيبر لطبيعة المجتمعات الحديثة وأسباب انتشار أساليب الحياة الغربية في العالم ، يتعارض تعارضا شديدا مع فهم ماركس لها ، ففي رأيه أن الرأسمالية باعتبارها طريقة متميزة لتنظيم المشروع الاقتصادي ، تعد أحد العوامل الأخرى الرئيسية التي شكلت النمو الاجتماعي في العصر الحديث . وكان للعلم والبيروقراطية تأثيرا قوي من غيرهما من الميكانزمات الاقتصادية الرأسمالية .

فالعلم حسب فيبر قد شكل التكنولوجيا الجديدة ، وسوف يستمر في القيام بهذا الدور في أي مجتمع اشتراكي في المستقبل " والبيروقراطية هي الوسيلة الوحيدة لتنظيم أعداد غفيرة من الناس تنظيما فاعلا وتنتشر البيروقراطية حتما مع النمو الاقتصادي والسياسي ، مستخدما مصطلح الترشيد للإشارة إلى نمو العلم والتكنولوجيا الحديثة والبيروقراطية ، ويقصد بالترشيد تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية تبعا لمبادئ الكفاءة على أساس المعرفة التكنولوجية .

هكـذا كانـت محـاولات علمـاء الاجتمـاع الأوائـل فـي فهـم طبيعـة تغيـر المجتمعـات ، والتـي ليسـت بعيـدة عـن التصـورات الحديثـة التـي تحـاول أن تفسـر تطـور المجتمعـات الحديثـة ، فتطـور العلـوم والمعـارف كـان أثـره بـارز فـي أعمـال هـؤلاء المفكـرين ، بطريقـة لا يمكـن اسـتثناء المعرفـة والعقـل البشري من حركة تاريخ المجتمعات.

تالكوت بارسونزTalkot Parsons(1902-1979): ولد "تالكوت بارسونز" سنة 1902 بولاية "كولورادو" الأمريكية ، ينحدر من أسرة دينية ومثقفة ، فقد كان أبوه رجل دين ، وأستاذا. حصل بارسونز على الدرجة الجامعة الاولى من كلية "امهرست" سنة 1924 ، ثم بدأ رحلة الدراسات العليا في مدرسة لندن للاقتصاد. وفي العام التالي انتقل إلى "هايدلبرج" بألمانيا .تأثر بارسونز تأثرا بالغا بأعمال "ماكس فيبر" وفي النهاية كتب أطروحته للدكتوراه في جامعة "هايدلبرج". أصبح محاضرا في جامعة "هارفارد" سنة 1927 ، وظل بهذه الجامعة حتى وفاته سنة 1979. نشر بارسونز كتابه" بناء الفعل الاجتماعي" سنة 1937 ، وبعد ذلك حقق لنفسه تقدما أكاديميا سريعا فقد أصبح رئيسا لقسم علم الاجتماع بجامعة "هارفارد" سنة 1944 ، وبعد ذلك بعامين أنشأ قسما جديدا "قسم العلاقات الاجتماعية" وصار رئيسا له. ولم يقتصر هذا القسم على علماء الاجتماع وحدهم بل ضم مجموعة من العلماء الاجتماعيين. وفي عام 1949 انتخب رئيسا للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع . نشر كتابه "النسق الاجتماعي سنة 1951 وأصبح من أبرز الشخصيات الأمريكية في علم الاجتماع.

يعد بارسونز من أهم رواد علم الاجتماع الأمريكيين الذين أسهموا إسهاما كبيرا في مجال النظرية السوسيولوجية، بدأ حياته بدراسة البيولوجيا ثم اهتم بدراسة الاقتصاد كما عكف على دراسة أفكار ومؤلفات "ماكس فيبر" وترجم كتابه الشهير "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" ، وفي فترة لاحقة نشر أجزاء مترجمة من كتاب فيبر " الاقتصاد والمجتمع". إن أول مؤلفاته "بناء الفعل الاجتماعي " سنة 1937 ، وفي هذه الفترة بدأ يهتم بكتابات فرويد وعلماء التحليل النفسي المحدثين وفي سنة 1942 نشر كتابه "مقالات في النظرية السوسيولوجية البحتة التطبيقية" ثم أعقبه بكتاب "النسق الاجتماعي" سنة 1951.

حاول بارسونز تفسير السلوك ذلك الذي يعبر عن علاقة بين الفاعل من جهة والقيم الموجهة من ناحية أخرى، وأكد مؤيدي بارسونز أن نظريته في الفعل الاجتماعي قادرة على تفسير مستويات عديدة تبدأ بالفعل مرورا بالنسق الاجتماعي ووصولا إلى الحضارات ككل (النسق الاجتماعي عند بارسونز هو مجموعة من العلاقات بين الأفراد أو الجماعات). إن المجتمع عند بارسونز شأنه عند دوركايم فهو كيان أخلاقي يتطلب الانقياد من أعضائه حتى يؤدي وظائفه بفاعلية ، فمفهوم النسق عند بارسونز يشمل البناء والأداء الوظيفي ، وكل نسق من الأنساق الفرعية الأربعة يشبع حاجة إنسانية أساسية ويشير بارسونز الى هذه الحاجة بالدوافع واللوازم الضرورية فمثلا الاقتصاد يشبع الحاجات المادية. فنظرية الأنساق الاجتماعية تحاول التوفيق بين المنظور البنائي الاجتماعي عند دوركايم ومنظور الفعل الاجتماعي عند

فيبر ، بالإضافة إلى أراء علماء آخرين من أبرزهم "فرويد"، حيث يرى بارسونز أن الناس يكتسبون القيم والمعايير والأدوار الأساسية من خلال التنشئة الاجتماعية ، وأن استدماج القيم والمعايير شرط لازم للمجتمع وللنظام والإخفاق في اكتسابها علامة في الانحراف.

بيتريم سوروكين (1889-1968): بدأ حياته كطبيب للأمراض النفسية والعصبية ، ولد في قرية روسية سنة 1889 ، وفي العشرينات من العمر ألقي عليه القبض بسبب نشاطه الثوري وقضى في السجن أربع شهور ، وبعدها واصل دراسته وتولى مهام تدريبية وشارك في الأنشطة الثورية التي زجت به في السجن مرة ثانية ولمدة قصيرة، كان من المقرر أن تناقش أطروحته في الدكتوراه عام1917 غير أن الثورة الروسية قامت فلم يتمكن من الحصول عليها إلا في عام 1922. وعندما تحقق النصر للبلاشفة وجد سوروكين نفسه مرة ثانية في السجن ، وبأوامر مباشرة من لينين ثم أطلق سراحه وتم إرجاعه إلى الجامعة لكنه وضع تحت المراقبة وتعرض للمضايقات من قبل البوليس السري ، ثم سمح له بمغادرة روسيا واستقر به المقام في الولايات المتحدة الأمريكية . حقق سروكين شهرة على المستوى القومي من خلال مؤلفاته "الحراك الاجتماعي" "النظريات المعاصرة في علم الاجتماع" ، وفي سنة 1929 عرض عليه كرسي الأستاذية في علم الاجتماع في جامعة هارفارد ، ونال هذه الدرجة في قسم الاقتصاد لعدم وجود قسم علم الاجتماع في الجامعة آنذاك. وقد وصف سوروكين بأنه الولد الشقي ونصير الشيطان في علم الاجتماع الأمريكي، حيث كانت الأنا عنده متضخمة كثيرا لدرجة انه كان ناقدا لكل فرد ولكل شيء، ونتيجة لذلك تعرض هو نفسه للنقد ويتضح هذا من رسالة كتبها سروكين إلى محرر مجلة أمريكية لعلم الاجتماع " إن مراجعة كتبي للحط منها كانت بمثابة فال حسن لوجود ارتباط قوي بين التقليل من شان هذه الكتب والنجاح الذي حققته فكلما تعرضت كثيرا إلى النقد زادت أهميتها وزاد نجاحها".يقال أن سروكين كتب مؤلفات ضخمة وطور نظرية تفوق نظرية بارسونز في مجالها وتعقيدها ، وقد ضمن نظرياته في شكلها المتكامل في كتابه "الديناميات الاجتماعية والثقافة" الذي نشر عامي 1937-1941، اعتمد فيه على مجموعة ضخمة من البيانات الامبريقية في تطوير النظرية في التغير الاجتماعي والثقافي.

يرى سروكين أن المجتمعات تتقلب بين ثلاث أنماط مختلفة:مجتمعات حسية : هي مجتمعات تسودها النزعة الحسية تقوم على أساس دور الأحاسيس في فهم الواقع.مجتمعات فكرية: وهي المجتمعات التي تسودها النزعة الفكرية ، التي تسيطر عليها طريقة لفهم الواقع تقوم على أساس الدين وتتجاوز الوجود المادي.المجتمعات المثالية: وهي أنماط انتقالية توازن بين النزعة الحسية والنزعة الدينية.

تحدث سروكين عن التغير الاجتماعي وقال إن القوة المحركة للتغير الاجتماعي توجد في المنطق الداخلي لكل نظام من هذه النظم ، بمعنى أنها تتعرض لضغط داخلي لكي تمتد بنمط تفكيرها إلى نهايتها المنطقية ، ومن ثم يصبح المجتمع الحسي في النهاية شهوانيا بدرجة تؤدي إلى زواله. وعندما تصل النزعة الحسية إلى نقطة النهاية المنطقية ، يتحول الناس إلى النظم الفكرية كملاذ لهم. ولكن عندما يتحقق لهذا النظام سطوته يصل إلى نقطة نهايته، وتكون النتيجة أن المجتمع يصبح دينيا إلى حد بعيد . وتمهد هذه المرحلة لظهور ثقافة مثالية ، وإعادة الدورة من جديد. وبهذا فان سروكين ليس من الذين حاولوا تطوير نظرية تطورية في التغير الاجتماعي وإنما نظرية دورية. ولم يبتكر سروكين نظرية متقنة للتغير الاجتماعي فحسب ولكنه نظم براهين تفصيلية من الأدب والفلسفة السياسية وما إلى ذلك ليدعم نظريته.وكان ذلك انجازا مثيرا بدرجة واضحة.

5. **انتقادات:**

لقد حاولت الوظيفية أن تقدم تحليلات وأفكارا ثاقبة حول كيفية عمل المجتمعات ولماذا توجد المؤسسات والأعراف؟ وبهذا تكون قد أسهمت إسهاما كبيرا في تطوير النظرية السوسيولوجية عموما وأسهم في تطويرها الكثير من الرواد من الذين تم ذكرهم وما لم نذكرهم ، إلا أنها وجهت لها العديد من الانتقادات من أهمها:

- تميل الوظيفية إلى التشديد على القيم على حساب المصالح ، وعلى الرغم من أنها تظهر أهمية استقلال الأفكار ، والوصل بين القوة والقبول الاجتماعي ، إلا أنها تتجاهل الجوانب القهرية للقوة وأهمية الغايات المتصارعة للناس.
- إن الوظيفية تركز على الضبط الاجتماعي على حساب التغير الاجتماعي ، وبالتالي تحلل التغير التوافقي وتتجاهل التغير التخريبي، كما تغالي في التأكيد على أهمية الأمن وحاجات المجتمع على حساب المصالح والغايات التي لا يمكن تلبيتها دون تغير اجتماعي.
- هناك تصور مفرط للطبيعة الاجتماعية والكائنات الحية الإنسانية ، فبالإشارة إلى المماثلة العضوية نجد أن الأعضاء لا تفكر في حين الأفراد يمتازون بالتفكير وبعبارة أدق أن المماثلة العضوية لم تفسح المجال للنظر في الفعل الاجتماعي المقصود.
- حاول بارسونز أن يوازن بين الفردية والبناء الاجتماعي ، لقد طور نموذجا للمجتمع أكثر اقترابا من البنائية الاجتماعية لدى دوركايم منه إلى تحليل فيبر للفعل الاجتماعي ، وأي كانت مقاصد بارسونز فقد نظر إلى القيم على أنها أشياء مفروضة اجتماعيا على الفرد من كونها محصلة لاختياره المدروس. فالقيم حسب المخطط السابق بأنها ملك للأنساق وليست للفرد.
- بالغت الوظيفية في دور الإجماع والتوازن وأهملت دور الصراع في قيام المجتمع بأداء وظائفه.

المحاضرة الرابعة : النظرية الماركسية

1. الجذور الفكرية لنشأة النظرية الماركسية:

تعتبر النظرية الماركسية من أهم الاتجاهات النظرية التي حاولت أن تقدم نظرة منظمة عن البناء الاجتماعي، والتغير الاجتماعي على أساس مادي ، وتتلخص في أفكار "كارل ماركس "و"فريديريك انجلز" وحتى الاتجاهات النظرية الحديثة فيقال أن الماركسية ليست ثمرة تلقائية للذهن الإنساني فهي قد قامت على أساس التناقضات الموضوعية للمجتمع الرأسمالي، وتمثل الماركسية عموما تأليفا إبداعيا بين ثلاثة مصادر فكرية هامة هي: الفلسفة الألمانية المثالية، الاقتصاد الانجليزي، والاشتراكية الفرنسية.

- الفلسفة الألمانية المثالية: تعتبر الفلسفة المثالية هي التي مهدت للثورة الفرنسية ، ويمثلها الكثير من المفكرين أبرزهم ديكارت ، كانت ، نيتشه و هيجل، وقد تضمن هذا الاتجاه نموذجين من التفكير. النموذج المحافظ وهو الذي يريد الرجوع مرة أخرى إلى رومانسية ما قبل الثورة حيث عهد الإقطاع، وحيث التفكير الفلسفي ذو الطابع الميتافيزيقي والذي يشير إلى عجز الفكرة عن تنوير الواقع أو حتى تأسيس حركة رشيدة له. أما النموذج الثاني فهو النموذج الثوري والذي يرى أنه ما دامت الثورة قد تفجرت فعليها أن تستمر حتى يتم الاكتمال الكامن في الواقع. لقد تأثر ماركس بالفلسفة الألمانية (المثالية) ، ونجد أن هيجل قد أعجب بثورة 1789 (الثورة الفرنسية)، فأراد أن يقوم بثورة في ميدان الأفكار تشبه ما قامت به الثورة الفرنسية في ميدان الواقع (وهكذا كانت الجدلية)، وكما

أن الثورة الفرنسية قضت على النظام الإقطاعي بعد أن كان يضن أنه خالد كذلك قامت الجدلية بالقضاء على الحقائق التي كانت تظن أنها خالدة.

إن ماركس على الرغم من اعترافه بشرف تتلمذه عقليا على مفكر عظيم كهيجل الا انه يؤكد أن الجدل قد عانى من الغموض على يديه، إذ يقف التنظير الهيجلي لديه على رأسه، ومن ثم فقد كان عليه –أي ماركس- أن يجعله معتدلا، وهو بذلك يوافق فيورباخ في نقده لهيجل حينما يؤكد أن العلاقة الصحيحة بين الفكر والوجود،هي أن الوجود موضوع والفكر محمول ، فالفكر ينبثق من الوجود ولكن الوجود لا ينبثق من الفكر.

- الاقتصاد السياسي الانجليزي: حيث كانت انجلترا في القرن التاسع عشر أكثر البلدان تقدما في الاقتصاد وقد مهد الاقتصاديان الانجليزيان"آدم سميث" و "الفريد ريكاردو" الطريق إلى نظرية القيمة ولكنهما لم يستطيعا إدراك العلاقات الموضوعية بين الناس والتي تتعدى تبادل السلع.
- الاشتراكية الفرنسية: وتأثر بها ماركس كثيرا حيث يقول"تصبح النظرية قوة مادية متى تسربت إلى الجماهير.

كما تشير الأبحاث والدراسات إلى أن النظرية الماركسية ظهرت استنادا إلى التفاعلات التي أثارتها الثورة الفرنسية من ناحية والثورة الصناعية من ناحية ثانية ، وهي التفاعلات التي أثارت مواقف نظرية متباينة في مواجهة هذه الأحداث التي أعادت توجيه التاريخ الأوروبي ، ويمكن بلورة هذه المواقف النظرية في موقفين أساسين هما:

- الوضعية: وهي التيار الفكري الثاني الذي عايش هذه المرحلة ، وغم تنوع جذورها إلا أنها ترجع في بعض جوانبها إلى التطورات المنهجية التي حققها الفكر التجريبي على يد "فرونسيس بيكون" ، والى فلسفات التنوير التي أكدت على ضرورة الإيمان بالعقل الإنساني وأعماله في ترشيد حركة التطور البشري، والى النجاح الذي حققته العلوم الطبيعية التي تدرس جزءا من ظواهره. وأن الحاجة أصبحت ماسة إلى علم اجتماعي يدرس ظواهر الاجتماع كجزء من ظواهر الكون والطبيعة .إن الوضعية في مجملها تشكل تصورا شاملا للنظام الاجتماعي ، حيث يتلخص موقفها في أن المرحلة الميتافيزيقية قد انتهت وأن الفلسفة النقدية فلسفة هدامة ، وأننا في حاجة إلى فلسفة وضعية أو علم يتولى ضبط المجتمع وتغييره وفقا للقوانين التي تحكم تطوره وتفاعله ويمكن اكتشافها ، ونادي هذا الموقف بضرورة تناول ظواهر الاجتماع بالدراسة بنفس منطق التناول الذي تتم به دراسة ظواهر الطبيعة.

- الفلسفة النفعية: وهي الاتجاه الثالث في هذه المرحلة ، وهي فلسفة ترفض الفوضى ، وترفض أيضا ضبط السلوك الفردي التلقائي.وترجع في بعض أصولها إلى الأفكار الداروينية حيث الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، وثم فان لديها إيمان بأن ثمة قوانين طبيعية قادرة على الانتقاء وأنه ليس من حق العقل التدخل في فاعلية القوانين الطبيعية. ولقد ارتبطت هذه النزعة ببداية الاستعمار الأوروبي والتجارة الدولية الشاملة. وفي مجمل القول أن هذه الفلسفة ترفض مسألتين أساسيتين هما:أولا: الفوضى الشاملة التي قد ينحدر إليها النظام الاجتماعي. ثانيا: رفض تدخل

الدولة أو أية سلطة خارجية لتنظيم التفاعل الاجتماعي، لأن الاجتماع البشري جزء من الطبيعة ومن ثم فهو يخضع لذات القوانين التلقائية التي تحكم حركتها وتوازنها.

2. نظرية ماركس الاجتماعية:

لقد ظهرت النظرية الماركسية وتطورت في وقت واجهت فيه النظرية الوظيفية عدة اتهامات ، حيث اتهمت النظرية الوظيفية بأنها محافظة من الناحية السياسية، وعاجزة عن التعامل مع التغير الاجتماعي بسبب تركيزها على الأبنية السائدة (الستاتيكا)،ومن هنا كانت المحاولة للتغلب على مشكلات البنائية الوظيفية وذلك بدمج الاهتمام بالبناء الاجتماعي مع الاهتمام بالصراع مما استطاع أن يطور هذا الاهتمام للوصول إلى نظرية كبديل عن البنائية الوظيفية.

وقد حاولت الماركسية أن تبرز دور الصراع الطبقي في إطار عملية تاريخية شاملة تفسر الماضي بقدر ما تشخص الحاضر وتتنبأ بالمستقبل ، إذ وكما سبق وأن ذكرنا أن كونت قد قدم رؤية مختلفة تماما للمجتمع الإنساني ، وهي رؤية تؤكد على أهمية النظام والانتظام في الحياة الاجتماعية وتبرير الطابع التضامني الذي يربط بين مختلف الطبقات الاجتماعية . .

يرى **كارل ماركس (Karl Marx)** ولد ماركس في 05 ماي 1818 في مدينة تريف Trieve التابعة لبروسيا ، كان والده يشتغل بالقانون ، ويعتنق اليهودية ، تلك التي تحول عنها سنة 1824 ، والسبب في هذا التحول كان سياسيا لأن المناصب العليا آنذاك كانت ممنوعة على اليهود. درس التاريخ والفلسفة، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1841، مارس العمل الصحفي ، وشارك في الأعمال الثورية السياسية بما في ذلك تكوين الرابطة الدولية للعمال . وقد قاوم الضغوط السياسية والاقتصادية التي شهدتها ألمانيا في عصره، مما دفع الحكومة الألمانية إلى طرده من البلاد، فذهب إلى فرنسا وبلجيكا بعدما حصل على اللجوء السياسي هناك ، لكن سرعان ما طردته الحكومتان الفرنسية والبلجيكية بعدما علمت بأفكاره ، فذهب بعد ذلك إلى انجلترا حيث مكث فيها طيلة حياته حتى توفي سنة 1883 في مدينة لندن..

أن نشأة المجتمع وتطوره ، كان نتيجة للتفاعل الإنتاجي المستمر بين البشر والطبيعة ، حيث بدأ البشر يميزون أنفسهم عن الحيوانات من اللحظة التي استطاعوا خلالها إنتاج وسائل حياتهم .مؤكدا بأن التغيير الاجتماعي ليس نتاجا للقوى الشخصية العمياء ، وإنما هو نتيجة لالتقاء الإرادات والأفعال البشرية ، وهو بهذا يؤكد على أن الحركة الاجتماعية هي إحدى عمليات التاريخ ، التي تحكمها قوانين ليست مستقلة عن الإرادة والوعي والذكاء البشري فقط ، ولكنها تفرض أيضا حتميتها على إرادة ووعي الذكاء البشري .

لقد أقام ماركس علاقة بين طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة نظام المعارف ، فالعلم حسب ماركس ظاهرة تاريخية مرتبطة بطبيعة الإنتاج الرأسمالي ، وحاول ماركس أن يقدم نظرية منظمة عن البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي ، واستند في ذلك إلى المادية التاريخية ، " التي تسلم بأن المجتمع هو كل منظم يعتمد أجزاؤه الواحدة على الأخرى ، بطريقة لا تكون فيها معتمدة على أي شيء خارج عن ذلك الكل. وقد شكلت كتابات ماركس تحديا قويا للتحليل في

علم الاجتماع ، ومنذ أيامه وحتى يومنا هذا تمحور كثير من الجدل في علم الاجتماع حول أفكار ماركس بشأن نمو المجتمعات الحديثة ، فماركس إذن نظر إلى هذه المجتمعات باعتبارها مجتمعات رأسمالية ، وأن الدافع إلى التغير الاجتماعي في العصر الحديث هو الضغط في اتجاه التحول الاقتصادي المستمر ، الذي يعد جزءا لا يتجزأ من الإنتاج الرأسمالي وتعد الرأسمالية نظاما اقتصاديا أكثر ديناميكية من أي نظام سبقه. والجدير بالذكر أن تفسير ماركس للنظام الرأسمالي لاقى تأييدا من عدد كبير من مؤيديه ، إلا أن العديد من علماء الاجتماع ، من يرون أن ماركس قد بالغ كثيرا في تأثير العوامل الاقتصادية المحضة في إحداث التغير ، وأن النظام الرأسمالي أقل أهمية في النمو الاجتماعي الحديث ، مثلما زعم ماركس وشكك معظم الكتاب في إيمانه ، بأن النظام الشيوعي سوف يحل محل النظام الرأسمالي في نهاية الأمر، ويبدو أن تلك الشكوك ولدت مع أحداث عام 1989 وما بعده في أوروبا الشرقية .

والمادية التاريخية هي تلك النظرية التي تنظر إلى الصراع باعتباره القوى المحركة للتاريخ أو عملية التغير الاجتماعي ، فالمجتمعات الإنسانية تتغير عبر مراحل متعددة حسب رؤية المادية التاريخية وعوامل التغير تكمن في العوامل المادية أو ما يطلقون عليه الأساس الاقتصادي للمجتمع ، و المادية التاريخية هي نظرية المجتمع الماركسية ، وهي العلم الذي يبحث في القوانين العامة والقوى المحركة لتطور المجتمع البشري ، ولا يقتصر موضوع المادية التاريخية على دراسة المجتمعات كتاريخ ظهور وتطور وتغير استطلاعات الاجتماعية والاقتصادية ، بل يشمل أيضا دراسة قانونيات الحياة المعاصرة بمختلف البلدان الرأسمالية ، الاشتراكية وحتى النامية .

وبالرجوع إلى وجهة النظر الماركسية والمتعلقة بطبيعة المجتمع أساسا، نجد أن ماركس يرى أن ظهور الطبقات في المجتمع لا يرجع إلى طبيعة الأنساق الشريرة كما تدعيه النزعة المثالية ، بل هو نمو قوى الإنتاج، ووفقا لتحليل ماركس ينقسم المجتمع أساسا إلى طبقات تتصارع من أجل مصالحها الطبقية، فعندما درس ماركس بعض نماذج المجتمعات كألمانيا ، انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وجد أن المصنع هو مركز الصراع بين المستغلين(ملاك وسائل الإنتاج) ، وتقوم النظرية الماركسية على فكرة الصراع وترى أن المجتمع : يتميز بالتوتر والنضال بين الجماعات. الفرد: يتشكل الناس بواسطة القوة والسلطة. أما النظام الاجتماعي: يتم المحافظة عليه من خلال القوة والقهر. فليس المجتمع لدى ماركس مفهوما مطلقا آو حقيقة مجردة بل هو موجود واقعي يتوقف كيانه على أسلوب الإنتاج وطبيعته التي يتسم بطابعها كل مجتمع من المجتمعات ، ولا تتحقق ماهية الإنسان إلا بالعمل ، لأنه هو الذي يكسبه حقيقته الواقعية ، فالإنسان كائن اجتماعي .

3. أهم منطلقات النظرية الماركسية:

على العموم اتفقت الكثير من النقاشات التي تناولت الفكر الماركسي بان ماركس قدم مضمومًا جديدا لعلم الاجتماع يؤكد على عدة قضايا أهمها:

- إن تأكيد ماركس على البناء الاقتصادي للمجتمع ، ومحاولة تصنيف المجتمعات على أساس نظمها الاقتصادية.
- تحليل البناء الفوقي الاديولويجي وعلاقته بما سماه بالأساس الحقيقي للمجتمع، أسلوب الإنتاج، علاقات الإنتاج ،العلاقات الاجتماعية المطابقة، مع تأكيده على أنه ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، وإنما وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم وشعورهم. وهي قضية تدور حول أصل الأبنية الأيديولوجية ، والقانون والسياسة والدين وغيرها.
- قدمت تحليلات ماركس تحليلا لمستقبل المجتمع الإنساني .
- إن المادية التاريخية هي لب نظرية ماركس الأساسية عن المجتمع، وتطبيق مجموعة مبادئ أساسية على الظواهر الاجتماعية ، وهي مبادئ تطبق على العالم بأكمله ، هذه المبادئ تعرف بالمادية الجدلية ، ولهذا لا تعد المادية التاريخية والمادية الجدلية شيئا واحدا ، وإنما شيئان الأول منهما هو تطبيق للأخر على طبقة واحدة من الظواهر الاجتماعية. وهذا ما يبرر ما يذهب إليه بعض علماء الاجتماع إلى أن النسق العام عند ماركس وهو المادية الجدلية ، يتضمن نسقا سويسولوجيا يسمى بالمادية التاريخية.
- إن نظرة ماركس نظرة مادية خالصة ، تنظر للصراع باعتباره القوى المحركة للتاريخ ، وعملية التغير الاجتماعي ، فالمجتمعات الإنسانية تتغير عبر مراحل متعددة حسب رؤية المادية التاريخية.
- إن عوامل التغير الاجتماعي تكمن في العوامل المادية أو كما يطلقون عليه الأساس الاقتصادي للمجتمع.

4. أهم الانتقادات الموجهة للماركسية:

لقد وجهت العديد من الانتقادات للنظرية الماركسية عموما ولأفكار "كارل ماركس " على وجه الخصوص ، لكن هذا لا ينقص كثيرا من أهمية النظرية الماركسية في تحليلاتها وتفسيراتها ، ومن أهم هذه الانتقادات ما يلي:

- بالغت الماركسية في تشديدها على فكرة الصراع وتقليلها من دور الإجماع والتناسق في المجتمع.
- الماركسية مثالية من الناحية النظرية لكنها يمكن أن تكون قاسية من الناحية الواقعية ، فحسب الانتقادات لا يمكن ان نجمع بين المساواة والمادية ومستوى مرتفع من الحرية والتغير.
- يعد سروكين P. Sorokin من أبرز محاولي نقد النظرية الماركسية ، حيث صنف ماركس في كتابه "النظريات السوسيولوجية المعاصرة " بين أنصار الاتجاه الاقتصادي. واعتبر تفسير المادي للتاريخ ولتطور المجتمع الذي قدمه ماركس تفسيرا أحادي الجانب ، ويعد ضربا من الميتافيزيقا حيث يصعب تطبيقه في المجال الاجتماعي.

المحاضرة الخامسة : منظور التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع

1. الجذور الأولى لنشأة الاتجاه التفاعلي الرمزي:

لقد بدت جذور هذا الاتجاه واضحة و قوية عند عالم الاجتماع الألماني Max Weber ، الذي جعل بؤرة تحليلاته السلوك الإنساني ذي المعنى ، بحيث أصبح من العسير تصور هذا السلوك في مجتمع ، جماعة ، علاقة أو تنظيم ، منفصلا عن بطانته النفسية المتمثلة في القيم ، المشاعر والرغبات والمقاصد والغايات. فكانت نظرية فيبر "الفعل الاجتماعي" لها تأثير كبير في انبثاق التفاعلية الرمزية، وذلك عندما ركزت على تفسير الفرد الذاتي للموقف وأهمية المعنى والذاتي. فركز في تعريفه لعلم الاجتماع على أهمية الفهم التفسيري أو المعنى الذاتي حيث عرف علم الاجتماع " بأنه ذلك العلم الذي يحاول أن يقدم فهما تفسيريا للفعل الاجتماعي من أجل الوصول إلى تفسير سببي لمساره ونتائجه. ويتضمن الفعل الاجتماعي كل السلوك الإنساني عندما يحاول الفاعل الفرد إضفاء معنى ذاتي له. والفعل بهذا المعنى قد يكون علنيا ، أو ضمنيا وقد يتألف من تدخل ايجابي في الموقف ، أو من إحجام متعمد عن مثل هذا التدخل، أو من إذعان سلبي في الموقف. ويعتبر الفعل اجتماعيا بموجب المعنى الذاتي الذي يضفيه عليه الفاعل الفرد أو الفاعلون والذي يأخذ بالحسبان سلوك الآخرين . وبذلك يتوجه في مساره. وبهذا يكون تأثير أعمال فيبر واضحا جليا في علم الاجتماع المعاصر بصفة عامة ، إلا أنه كان أكثر وضوحا في أعمال المدرسة الأمريكية لعلم الاجتماع وبخاصة الاتجاه المعروف باسم مدرسة الفعل الاجتماعي والذي تعد "التفاعلية الرمزية " أحد صياغاته المعاصرة.

وقد تطورت التفاعلية الرمزية بشكل رئيسي في جامعة شيكاغو خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين ، انطلقت من الفلسفة البراجماتية التي نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، حيث أكدت على أهمية الفعل والعمل في مقابل التفكير والمنطق والعقل ، وهي تجسيد للحياة في المجتمع الأمريكي الذي يتميز بالسلوك والحركة وبالبناء والتغير.

ويرجع الفضل في بروز هذا الاتجاه وتطوره إلى إسهام العديد من علماء الاجتماع الأوائل أمثال : جورج زيمل George Simmel،روبرت بارك Bobert Park، وليام إسحاق توماس William Isaac Thomas، تشارلز كولي Charles Horton Cooley، جون ديوي John Dewey و جورج هربرت ميد George Herbert Mead ووليام جيمس W.James .إذ لا تزال أعمال هؤلاء المفكرين هي الركيزة الأساسية لمختلف اتجاهات التفاعلية الرمزية , حيث يرى هربرت بلومر H.Blumer وهو من أهم الرواد المعاصرين لهذا الاتجاه ، بأنه بالرغم من أن جورج هربرت ميد قد مات منذ 1931 إلا أن إسهاماته هي جوهر التفاعلية الرمزية كما تجري الآن . مع ذلك هناك محولات عديدة لتطوير هذه المدرسة تمثل الجزء الأكبر منها في دراسات هربرت بلومر ، فضلا عن إسهامات ارفنج جوفمان E.Goffman بأعماله في مجال الفنون والانثروبولوجيا ، وبخاصة تحليلاته للذات والشخصية التي استخدمت لغة التفاعلية استخداما واسعا.بالإضافة إلى إسهامات كل من مانفورد كون M. Khun، هيوجز E.Huges ، هوارد بيكرH.Beker و أنسلم ستراوس A.Istrauss وكذلك روبرت نسبت R.Nisbet.

يرتبط أصل مصطلح "التفاعلية الرمزية" باسم هربرت بلومر Herbert Blumer الذي وصف هذا المصطلح بقوله" انه تعبير جديد غير متداول إلى حد ما ، قمت بصياغته بطريقة ارتجالية في مقالة كتبت ضمن كتاب "الإنسان والمجتمع" لقد انتشر المصطلح بطريقة ما وهو الآن يحظى باستخدام عام، حيث تعد أقدم تقاليد التحليل السوسيولوجي قصير المدى ويعود إلى Blumer سنة 1937 في مقال تحت عنوان

"علم النفس الاجتماعي-التفاعلي الرمزي- وفي مقال لاحق له سنة 1962 بعنوان "المجتمع والتفاعل الرمزي" ، ويؤكد بلومر بان ميد أكثر من أي من الآخرين وضع أساس هذا الاتجاه ، رغم انه لم يطور ما ينطوي عليه من منهجية للدراسات الاجتماعية .

2. مفهوم منظور "التفاعلية الرمزية":

إن منظور التفاعلية الرمزية يعد محاولة نظرية ومنهجية تنهض على أسس فلسفية وسيكولوجية تتطلع إلى فهم أكثر عمقا وأكثر ثراء للسلوك الإنساني، والعلاقات الاجتماعية، بل ولعالم الحياة اليومية برمته . غايتها تطبيق مجموعة من الأفكار على حالات معينة من السلوك أو الفعل الإنساني بغية فهم هذه الأفعال تماما كما يفهمها ويعنيها الفاعل أو المشارك في الموقف ذاته.

بحيث يتجه أنصار التفاعلية الرمزية في عملهم من الذات إلى خارجها ، مؤكدين على أن الناس يؤسسون المجتمع ، مؤكدين على أهمية المعاني الرمزية للاتصال ، بما يشمله من لغة وإيماءات وإشارات ، ويسلم أنصاره تسليما كاملا بأن المجتمع يصنع الأفراد ويشكلهم ، ومن ذلك فهم يعتقدون أن هناك فرصا مستمرة للفعل الإبداعي، وبهذا فالتفاعلية الرمزية هي دراسة علاقة النفس بالمجتمع على إنها عملية تفاعلية رمزية بين الأفراد .

فالاتجاه التفاعلي الرمزي بصورة جوهرية منظور نفسي-اجتماعي . ومن القضايا الأولية التي يركز عليها هذا المنظور ، الفرد الذي يمتلك ذاتا ، والتفاعل بين الأفكار والعواطف الداخلية للشخص ، وسلوكه الاجتماعي .فمعظم التحليل ضمن هذا المنظور ينصب على المستوى قصير المدى للعلاقات البين شخصانية، ويتم النظر إلى الأفراد على أنهم بناءون نشطون لتصرفاتهم ، بحيث يفسرون ، ويقيمون ، ويعرفون ، ويخططون فعلهم ، أكثر من كونهم كائنات سلبية راضخة لقوى خارجية ، كما أن التفاعلية الرمزية تشدد على العمليات التي يتخذ الفرد من خلالها قرارات ، ومنها يبني آراء خاصة. فليس هدف التفاعليين الرمزيين اختبار عدد من الفروض امبريقيا ، وإنما هم يزعمون أن لديهم مجموعة من التصورات والأفكار التي تصلح إطارا لوصف الواقع وتفسيره,

وفي كتابه التفاعلية الرمزية يعرف Blumer التفاعل الرمزي بأنه: خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس ، وما يجعل هذا التفاعل فريدا هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلا من الاستجابة المجردة لها ، إن استجابتهم لا تصنع مباشرة وبدلا من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم. ويوضح بلومر أن المرتكزات المعرفية الأساسية للتفاعلية الرمزية تتمثل في أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه بالنسبة لهم ، أي من خلال المعاني المتصلة بها ، وهذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، وهي تحور وتعدل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

ومصطلح التفاعل الرمزي فيه شقين فاعلين هما عملية التفاعل والتي هي الفعل الموجه ، والجانب الآخر هو أداة التفاعل التي هي النظام الرمزي ، ويقابل ذلك عملية فهم الرمز وهذا يعتمد على عملية ذهنية مرهونة بنشاط العقل المعرفي من المعاني والتصورات والمعتقدات .فأول من أطلق مصطلح "التفاعل الرمزي" هو العالم Blumer ويقصد به " أن الفعل الاجتماعي الموجه للحصول على استجابة الآخرين يؤدي إلى عملية التفاعل وهذا يعتمد على الخاصية الرمزية للعقل ضمن إطار عملية التفاعل والاتصال ، والمتفاعلون لا يتبعون وصفات اجتماعية ثقافية ثابتة إنما يؤولون معنى العقل والرمز ولهذا لا تعتبر

العمليات الاجتماعية والعلاقات ونواتجها من بناءات اجتماعية ثقافية كأشياء ثابتة إنما عمليات دينامية متغيرة ومفتوحة.

إن أساس التفاعلية الرمزية هو اللغة وهي رموز دالة تعبر عن عمليات التفاعل والاتصال تفهم من خلال خبرات الجماعة وسياق الفعل ولهذا يعتبر اكتساب الفرد لخبرة الجماعة في النظام الرمزي هي أساس قدرته على التفاعل (اللغة هي مجموعة إشارات جدواها أن تعرب عن الفكر وان تؤديها إلى علم الآخرين وأداتها هي تلك الألفاظ المتكاملة والحروف المكتوبة. فأصحاب التفاعلية الرمزية يؤكدون على الدور الذي يلعبه "التفاعل الاجتماع" في الحياة الاجتماعية لدى الأفراد والجماعات وان التفاعل الاجتماعي هو أساس التطورات التي تطرأ على الحياة الاجتماعية مع مرور الزمن.

3. <u>أهم ممثلي منظور التفاعلية الرمزية:</u>

- ❖
- ❖

جورج هربرت ميد G.H.Mead(1863-1931): [1] ولد "ميد" سنة 1863 في ماس شوست ، ودرس بجامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية ، وليزبرج وبرلين في ألمانيا ، درس الفلسفة المثالية الألمانية والبرجماتية الأمريكية. أمضى "ميد" جانبا كبيرا من حياته الأكاديمية يدرس في جامعة شيكاغو التي تعتبر من المدارس المتطورة الكبرى في علم الاجتماع الأمريكي . كثب "ميد" العديد من المقالات وقدم الكثير من المحاضرات التي جمعت بعد وفاته سنة 1931على هيئة كتب كان أهمها " العقل والذات والمجتمع" سنة 1934 و"حركات الفكر في القرن التاسع عشر" سنة 1936 و"فلسفة الفعل" سنة 1939.

قيل عن جورج هربرت ميد بانه "يعتبر لحد الآن من بين المفكرين الأمريكيين القلائل اللذين ساعدوا في تشكيل خاصية العلم الاجتماعي الحديث« ، حيث اهتم بدراسة علاقة الفرد بالجماعة والمجتمع خاصة فيما يتعلق بعملية التفاعل الرمزي ضمن الجماعات الصغيرة ، وكيف يتم تشكيل الذات والعقل من ناحية وتشكيل ما هو اجتماعي ثقافي من ناحية أخرى، والعلاقة بين هاذين الجانبين وارتباط هذه العلاقة بالسلوك الإنساني، فالفعل الاجتماعي سواء كان عملا أو قولا هو عبارة عن رمز لما يتضمنه من معنى يحتاج إلى تأويل وهو يشكل الحقائق التي يحملها الناس لذواتهم وللآخرين والمجتمع وبما يحمل الناس من معاني لهذه الجوانب عليها يتصرفون . إذ يصبح النظام الرمزي وتحديدا اللغة هي الأهم في عملية التفاهم والتفاعل التي ترتبط بتشكيل الذات ونضوج العقل والوعي الاجتماعي .

انشغل Mead بمسائل عديدة مثل العلاقة بين العقل والجسد ، طبيعة الوعي ، أسس القوى الإنسانية الرشيدة وتفسير ماهية الإنسان وهو في ذلك يتبنى وجهة النظر البراجماتية متؤثرا في ذلك بأعمال "جيمس" و"ديوي". لكنه حاول أن يقيم نسقا فكريا مستقلا إلى حد ما وبنزعة سوسيولوجية، حيث حاول Mead أن يوظف الفلسفة البراجماتية بطريقة مختلفة عن سابقيه من اجل تفسير العقل.

اهتم Mead اهتماما كبيرا بأفكار Cooley حيث قبل فكرته حول العلاقة بين الذات والمجتمع ، فاعتبرهما مظهران لعملية اجتماعية نفسية واحدة ، وان عمليات التجمع والاتصال تمثل سياقا خلاق

لظهور الذات، ويعتقد مثل كولي أن الحياة في الجماعات الأولية ذات أهمية خاصة في تكوين ونمو الطبيعة الاجتماعية للذات، فحلل سلوك الأطفال في اللعب وجماعة الرفاق والجوار، فكتب قائلا " إن العقل لا يستطيع أن يجد أي تعبير له ، بل لن يتحقق وجوده مطلقا ، إلا في ضوء البيئة الاجتماعية ، والتي تعني نمطا منظما من العلاقات الاجتماعية والتفاعلات ، ولا ينمو العقل أيضا إلا عن طريق العملية الاجتماعية للخبرة والنشاط". وتتلخص أفكار ميد الرمزية في النقاط التالية :

- تعتمد نظريته على كون الذات والنفس البشرية هي المرآة التي ينعكس عليها المجتمع بكل صوره وتناقضاته وتفاعلاته.
- الذات لا توجد إلا في علاقة مع جماعات اجتماعية ، لأن الفرد نفسه ينتمي الى بناء اجتماعي والى نظام اجتماعي عام. ولذلك كان العقل والذات وكان الوعي والفعل ظواهر جمعية وليست فردية تشتمل على أدوات وعلاقات ونظم اجتماعية.
- المجتمع هو وحدة ديناميكية متطورة، تولد بشكل مستمر أنماطا جديدة ومتميزة لأساليب التنشئة الاجتماعية للأفراد فالفرد كائن عقلاني ومحصلة للعلاقات الاجتماعية.
- الرموز هي عوامل جوهرية لتسهيل الاتصال، تعكس الحاجات الاجتماعية والرغبات الفردية للإنسان من خلال وظيفتها الاجتماعية بقصد تحقيق التفاعل.

افرنج جوفمان Erving Goffman (1922-1982): ولد غوفمان في مدينة البرتا بكندا سنة 1922 ، حصل على البكالوريوس من جامعة تورنتو سنة 1945، وعلى الماجستير من جامعة شيكاغو سنة 1949 ، والدكتوراه من نفس الجامعة سنة 1953 . كان عضوا في مركز البحوث بجامعة سكوتلندا من سنة 1949 حتى سنة 1951 ، ثم التحق بقسم علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا عام 1958 ثم أستاذا للانثروولوجيا وعلم الاجتماع في جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا . من أهم أعماله "حضور الذات في الحياة اليومية" سنة 1959 و "المقابلات والوقائع" سنة 1961 توفي سنة 1982.
تأثر Goffman كثيرا بأفكار Mead ، مما جعله يركز على الذات بشكل كبير في كتابه "تقديم الذات في الحياة اليومية"، والذي شكل الكثير من أعماله اللاحقة ، يعد من المفكرين البارزين الذين ارتبطوا بمدرسة شيكاغو الأصلية ، وبانضمامه إلى Blumer في جامعة بركلي ، حيث استطاعا تأسيس ما يشبه مركزا للتفاعلية الرمزية ، إلا أن هذا المركز لم يضارع مدرسة شيكاغو في أهميتها ، وبعد سنة 1952 تضاءلت أهمية التفاعلية الرمزية على الرغم من استمرارها كنظرية بارزة في علم الاجتماع.

لقد بنى Goffman لنفسه مكانا قويا ومتميزا في نظرية علم الاجتماع المعاصر، حيث نشر خلال هذه الفترة ما بين الخمسينات والسبعينات سلسة من الكتب والمقالات التي كانت المخاض لميلاد التحليل المسرحي كشكل مختلف من أشكال التفاعلية الرمزية، وتتلخص فكرته حول أن هناك تشابها كبيرا بين الأداء المسرحي وأنماط الدور الذي نقوم به جميعا في أفعالنا وتفاعلاتنا اليومية.

اهتمت نظريته الاجتماعية بالفرد وموقفه من الآخرين ، وكيفية تقديم نفسه وأفعاله لهم من خلال الحياة اليومية، والطريقة التي يمكن من خلالها التحكم بانطباعات الآخرين عنه أثناء التفاعل الاجتماعي، وهذه المبادئ هي نوع من التأليف المسرحي حيث الأداء لمواجهة الآخرين والتأثير عليهم فالتحليل المسرحي يتناغم مع جذوره التفاعلية الرمزية حيث يركز على الفاعلين والفعل والتفاعل ، واستنادا إلى التفاعلية الرمزية وجد Goffman في المسرح استعارة رائعة لتسليط الضوء على العمليات الاجتماعية الصغرى.

يرى Goffman أن التعابير الجسدية والإيماءات ونوعية الفعل تعتبر مؤشرات أصدق للمعنى ووعي الإنسان به، تجعله يحاول تدبير تعابيره الحركية وأفعاله بالشكل الذي يظهر أحسن مظهر محاولا إخفاء الأوجه السلبية مما يجعل التفاعل الاجتماعي نوعا من لعبة الانطباعات بين المرسل والمستقبل طرف يحاول اكتشاف الحقيقة ، وطرف يحاول إخفاءها الأمر الذي يساعد في استمرار العملية الاجتماعية، بحيث كل طرف من أطراف التفاعل يحاول حماية صورته وتجنب الفضائح ويقدم أفضل صورة لذاته لمحاولة دفاعية . ويحاول كل إنسان في عملية التفاعل وضع واجهة تشمل الرموز والإشارات التي تتناسب مع مكانة الدور كالملبس ونمط اللغة.

انطلق Goffman من مفهوم الذات لكي يعالج الصلة بينها وبين تنظيم المجتمع ، ويسلم بوجهة نظر Mead والتي مؤداها أن الذات كيان اجتماعي وجد خلال عملية التفاعل الاجتماعي ، وان الفرد لا يعي فحسب "الأخر المعمم" وإنما هو يستدمج القيم والاتجاهات السائدة في وسطه الاجتماعي، أو هو يتعلم هذه القيم والاتجاهات ويدخلها ضمن تكوينه النفسي بطريقة تجعله قادرا على تطوير اتجاهاته الاجتماعية تلقائيا.وتنمية خبراته ومشاعره وإتيان أفعال اجتماعية ملائمة ،

ينظر إلى أن الحياة اليومية أشبه بالحياة على المسرح ، فالممثل على خشبة المسرح يحاول تقديم ذاته إلى الأفراد على أساس الدور الذي يقوم بتمثيله في المسرحية، فيلجا إلى حيل عديدة لكي يقتنع الجمهور بالفعل بقدرته على تقمص الشخصية التي يقوم بتمثيلها"فإذا كان مثلا يقوم بتمثيل دور رجل شرطة ، فان عليه أن يرتدي زي الشركة ، وان يجعل سماته ونبرات صوته وحركاته متطابقة قدر المستطاع مع ما يتسم به رجال الشرطة" ويعتقد Goffman أن هذا هو بالفعل ما يحدث في حياتنا اليومية فنحن نقنع الآخرين بطبيعة ذواتنا ، ماهية شخصيتنا ونلجأ في سبيل ذلك أيضا إلى عدد من الترتيبات فالمسكن الذي نقيم فيه ، الزي الذي نرتديه، طريقة الحديث ، أسلوب المعاملة هي كلها تعبيرات ومظاهر تدل على الأدوار والسمات الشخصية والمكانة الاجتماعية والاتجاهات.

تشارلز كولي (1864-1929): ولد غوفمان في مدينة البرتا بكندا سنة 1922 ، حصل على البكالوريوس من جامعة تورنتو سنة 1945، وعلى الماجستير من جامعة شيكاغو سنة 1949 ، والدكتوراه من نفس الجامعة سنة 1953 . كان عضوا في مركز البحوث بجامعة سكوتلندا من سنة 1949 حتى سنة 1951 ، ثم التحق بقسم علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا عام 1958 ثم أستاذا للانثروولوجيا وعلم الاجتماع في جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا . من أهم أعماله "حضور الذات في الحياة اليومية" سنة 1959 و "المقابلات والوقائع" سنة 1961 توفي سنة 1982.

كان "كولي" من أوائل من اهتموا بتشكل الذات ونموها، وتوصل إلى أن الذات ونموها إنما تتكون حصيلة عملية التفاعل مع الآخرين. ففي السنوات الأولى يرى الطفل نفسه من خلال رؤية الآخرين له. ويقوم بملاحظة وتأويل استجابات الآخرين ، فيتكون لديه تصور للذات ، وينطلق هذا من أهمية الأخر للفعل. وقد أطلق على هذه العملية في تصور الذات "المرآة العاكسة للذات" وكأن الآخرين مرآة تمكنه من رؤية ذاته. ويركز "كولي" على الذاتية الأساسية للفرد والمجتمع ، كما أنه يركز على الاتصال كآلية تربط الأفراد داخل المجتمع، فالذات تعتبر أساسية في السلوك الإنساني، واعتبار الجماعات الأولية كبوتقة تنصهر فيها خبرات الفرد وتصوراته .

وتشمل عملية "المرآة العاكسة للذات" على عناصر جوهرية وهي:

- كيف تظهر ذواتنا وأفعالنا للآخرين عبر استجاباتهم.
- نمو شعور ذاتي نتيجة لذلك كالثقة بالنفس ، وبهذا لا تولد الذات مع ولادة الإنسان ، ولا تنمو بمجرد نموه العضوي والحيوي ، وإنما الذات هي تعبير عن نتاج اجتماعي تتشكل وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين.
- هناك تداخل بين النفس والأفكار والتفاعل، فشعور الفرد ما هو إلا انعكاس لأفكاره حول نفسه.

يعطي كولي أهمية كبيرة للجماعات الأولية كالأسرة وجماعات الجوار واللعب ، لأن من خصائصها الأساسية أنها تقوم على علاقات المواجهة المباشرة الوثيقة، والتعاون الواضح ، والصراع ، وحرية التعبير عن الشخصية والعواطف. وبالتالي فلهذه الجماعات القدرة على تشكيل الطبيعة الإنسانية ، وتأثيرها على خبرات الفرد المبكرة ، وبالإضافة إلى ذلك فهي تنمي لدى الفرد الشعور بالوحدة الاجتماعية .

ويرى نيكولا تيماشيف ان نظرية الذات عند كولي تقوم على عدة فرضيات أهمها: يؤثر المجتمع في تكوين ذات الفرد ومعتقداته وقيامه بممارسة أدواره الحياتية المختلفة.

- يدخل الفرد في تفاعل مع الآخرين وفقا لمنظومة من التوقعات التي يفضلون أن يروها منعكسة في معتقدات وسلوك بعضهم البعض.
- السلوك الاجتماعي مكتسب ، يتعلمه الفرد من المجتمع عبر وسائل التعليم والتنشئة الاجتماعية المختلفة.

4. أهم الانتقادات الموجهة لاتجاه التفاعلية الرمزية:

لقد وجهت العديد من الانتقادات إلى هذا الاتجاه ، اغلبها تهدف إلى تنمية وتطوير الإطار التفاعلي الرمزي والتغلب على نقاط الضعف فيه، ومن أهم هذه الانتقادات ما يلي:

- يرى ميلتزر Meltzer إلى أن الإطار الذي استخدمه Mead ، إطار يتسم بالغموض وعدم التحديد ، يتضح ذلك من خلال مجموعة المفاهيم التي طورها مثل (الدافع ، المعنى ، العقل ، اكتساب الدور، الذات، الأنا الداخلية ، الأنا الخارجية ،الوعي الذاتي ، الصورة ، الاماءة والرمز) وتتطلب هذه المفاهيم إدراكا حسيا ، الأمر الذي لا يجعل منها أدوات تصورية واضحة ودقيقة لتفسير السلوك الإنساني.
- يذهب Kuhn إلى أن معظم أعمال التفاعلية الرمزية لا تزيد عن كونها مجموعة من تعليقات أو دفاع منظم عن بعض الأفكار الخاصة بكيفية فهم الذات الإنسانية دون الاهتمام بترجمة هذه الأفكار إلى بحوث امبريقية مبتكرة.
- إن التفاعلية الرمزية أما أنها تتجاهل التنظيم الاجتماعي والبناء الاجتماعي وإنما إنها تتبنى تصورا خاطئا لهما.
- إن منظور التفاعلية الرمزية لم يهتم اهتماما كبيرا بالقضايا المرتبطة بالقوة والبناء على الرغم من تأكيده على التفاعل بين الذات والمجتمع ، فمثلا لم تكن قضية جماعة أو طبقة هي التي تحكم المجتمع مسألة محورية بالنسبة للتفاعلية الرمزية.
- قدمت التفاعلية الرمزية صورة ناقصة عن الفرد ذلك لأن علم الاجتماع بحاجة إلى نظرية أكثر عمقا عن الفرد.